ABES13

**أحاديث الأذكار والأدعية 72 - دعاء القنوت في صلاة الوتر**

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فالحديث عن دعاء القنوت في صلاة الوتر.

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوِتْرِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ؛ إِنَّكَ تَقْضـِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**» رواه أبو داود والنسائي.

هذا دعاءٌ عظيمٌ مشتملٌ على مطالب جليلة ومقاصد عظيمة؛ ففيه سؤال الله الهدايةَ، والعافيةَ، والتوَلِّي والبركة، والوقاية، مع الإقرار بأنَّ الأمورَ كلَّها بيده وتحت تدبيره، فما شاء كان وما لَم يشأ لَم يكن.

قوله في أوَّل هذا الدعاء: «**اللَّهمَّ اهدني فيمن هديت**»؛ فيه سؤالُ الله الهداية التامَّة النافعة الجامعة لعِلم العبد بالحقِّ وعمله به، فليست الهدايةُ أن يعلمَ العبدُ الحقَّ بلا عملٍ به، وليست كذلك أن يعمل بلا علمٍ نافعٍ يهتدي به، فالهدايةُ النافعةُ هي التوفيق للعلم النافع والعمل الصالح.

**وقوله: «فيمَن هَدَيت» فيه فوائد:**

* **أحدها**: أنَّه سؤال له أن يدخلَه في جملة المهديين وزُمرتِهم ورفقتهم، وحسن أولئك رفيقاً.
* **الثانية**: أنَّ فيه توسلاً إليه بإحسانه وإنعامه؛ أي: يا رب قد هَديتَ من عبادك بشراً كثيراً فضلاً منك وإحساناً؛ فأحسن إليَّ كما أحسنتَ إليهم واهدني كما هَدَيتَهم.
* **الثالثة**: أنَّ ما حصل لأولئك من الهدى لَم يكن منهم ولا بأنفسهم، وإنَّما كان منك فأنت الذي هَدَيتَهم.

وقوله: «**وعافنِي فيمَن عافيت**» فيه سؤالُ الله العافية المطلقة؛ وهي العافية من الكفر والفسوق والعصيان والغفلة والأمراض والأسقام والفتن وفِعل ما لا يحبُّه وترك ما يحبه؛ فحقيقةُ العافية أن يعافيك الله من أمراض البدن وأمراض القلوب. والعافية من أمراض القلوب شأنها أعظم من العافية من أمراض البدن، ولذا ورد في الدعاء المأثور: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا» لأنها أعظم المصائب.

**وأمراض القلوب تعود إلى شيئين:**

1. إلى الشهوات التي منشؤها الهوى.
2. وإلى الشبهات التي منشؤها الجهل.

وما سُئل الرَّبُّ شيئاً أحبَّ إليه من العافية؛ لأنَّها كلمةٌ جامعةٌ للتخلُّص من الشَّرِّ كلِّه وأسبابه، وفي الأدب المفرد وغيره عن العباس عمِّ رسول الله أنَّه قال: قلت يا رسول الله! علِّمنِي شيئاً أسأل الله به، فقال: ((يا عباس! سلِ اللهَ العافيةَ))، ثمَّ مكثتُ قليلاً ثم جئت فقلت: علِّمني شيئاً أسأل اللهَ به يا رسول الله! فقال: ((يا عباس! يا عمَّ رسول الله! سَلِ اللهَ العافيةَ في الدنيا والآخرة)). وقال : ((اسْأَلُوا اللَّهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ)) رواه الترمذي.

وقوله: «**وتولَّنِي فيمَن تولَّيتَ**» فيه سؤالُ الله التَّوَلِّي الكامل الذي يقتضي التوفيقَ والإعانةَ والنصرَ والتسديدَ والإبعادَ عن كلِّ ما يغضب الله، ومنه قول الله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}[البقرة:257]،وقولُه:{إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف:196]، وقوله: { وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ }[آل عمران:68]، وقوله: {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ}[الجاثية:19]، وهي ولايةٌ خاصةٌ بهم تقتضي حفظهم ونصرهم وتأييدهم ومعونتهم ووقايتهم من الشرور.

ويدلُّ على هذا قولُه في هذا الدعاء: «**إنَّه لا يَذلُّ من واليت**»؛ أي أنَّه منصورٌ عزيزٌ غالب بسبب توليك له، وفي هذا تنبيهٌ على أنَّ مَن حَصَل له ذِلٌّ في الناس فهو بنقصان ما فاته من تولي الله، وإلاَّ فمع الولاية الكاملة ينتفي الذُّلُّ كلُّه، ولو سُلِّط عليه من في أقطار الأرض فهو العزيز غير الذليل.

وقوله: «**وبارك لي فيما أعطيت**» البركةُ: هي الخير الكثير الثابت، ففي هذا سؤال الله البركة في كلِّ ما أعطاه؛ من علم أو مال أو ولد أو مسكن أو غير ذلك؛ بأن يثبِّتَه له ويوسِّعَ له فيه، ويحفظه ويسلمَه من الآفات.

فمن الناس من عنده مالٌ كثير لكنهم لا ينتفعون بمالهم، يجمعونه ولا ينتفعون به! وهذا من نزع البركة. ومن الناس من عنده أولاد، لكن أولاده لا ينفعونه لما فيهم من عقوق، فلم يُبَارَكْ له فيهم . ومن الناس من أعطاه الله علمًا كثيرًا لكن لا يظهر أثر العلم عليه في عبادته ولا في أخلاقه ولا في سلوكه ولا في معاملته مع الناس، بل قد يُكْسِبه العلم استكبارًا عليهم واحتقارًا لهم، ولا ينتفع الناس بعلمه، لا بتدريس، ولا بتوجيه، ولا بتأليف، وربما كان علمه حجةً عليه لا له، وهذا بلا شك حرمان عظيم، فكم هي حاجة العبد ماسة إلى سؤال ربه أن يبارك له فيما أعطاه.

وقوله: «**وقني شر ما قضيت**» أي شرَّ الذي قضيتَه، فإنَّ الله تعالى قد يقضي بالشر لحكمة بالغة، والشرُّ واقعٌ في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله؛ فإنَّ فعلَه وخلقَه خيرٌ كلُّه. وهذا الدعاء يتضمن سؤال الله الوقاية من الشرور، والسلامة من الآفات، والحفظ عن البلايا والفتن، واللُّطْف في القضاء بأن يصرف عنه الشر.

وهذا المعنى يأتي في دعوات عديدة مأثورة عن النبي عليه الصلاة والسلام، مثل قوله في دعائه الجامع: **«**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ**»** رواه أحمد عن عائشة رضي الله عنها. ومثل قوله عليه الصلاة والسلام في دعائه: **«**اللهم احفظني بالإسلام قائما و احفظني بالإسلام قاعدا و احفظني بالإسلام راقدا و لا تشمت بي عدوا حاسدا و اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك و أعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك**»** رواه الترمذي عن عبد الله بن مسعود .

قوله: «**إنَّك تقضي ولا يقضى عليك**» فيه التوسل إلى الله سبحانه بأنَّه يقضي على كلِّ شيء، لأنَّ له الحكمَ التامَّ والمشيئةَ النافذةَ والقدرة الشاملة، فهو سبحانه يقضي في عباده بما يشاء ويحكم فيهم بما يريد، لا رادَّ لحُكمه ولا معقب لقضائه.

وقوله: «**ولا يُقضى عليك**» أي: أنَّه سبحانه لا يقضي عليه أحدٌ من العباد بشيء، فالعباد لا يحكمون على الله، بل الله سبحانه هو الذي يحكم عليهم بما يشاء ويقضي فيهم بما يريد.

وقوله: «**إنَّه لا يذل من والَيت ولا يعز من عاديت**» هذا كالتعليل لما سبق في قوله: «وتولَّني فيمن توليت»؛ فإنَّ الله سبحانه إذا تولَّى العبدَ فإنَّه لا يَذِلُّ، وإذا عادى أحدا فإنَّه لا يَعِزُّ. وقد كتب سبحانه الذل على كل عدو له، قال الله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُحَآدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ}[المجادلة:20] وقال تعالى: {كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}[المجادلة:21]، فمن عادى الله فهو ذليل لا يمكن أن يكون عزيزًا، فالأمر بيده سبحانه، قال الله : {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[آل عمران:26] ، ولا تُطلب العزة إلا من الله ولا تُنال إلا بطاعته سبحانه، قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ}[المنافقون:8] .

وقوله: «**تباركت ربنا وتعاليت**» معنى تباركت أي تعاظمتَ يا الله؛ فلك العظمةُ الكاملة والكبرياء التام، وعظُمَت أوصافُك وكثرت خيراتُك وعمَّ إحسانُك.

وقوله: «**وتعالَيت**» أي: أنَّ لك العلوِّ المطلق ذاتاً وقدراً وقهراً؛ فهو سبحانه العَليُّ بذاته قد استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله وكماله، والعليُّ بقَدْره وهو علوُّ صفاته وعظمتُها، فإنَّ صفاته عظيمةٌ لا يماثلها ولا يقاربها صفةُ أحد، والعليُّ بقهره حيث قَهَرَ كلَّ شيء ودانت له الكائناتُ بأسرها، فجميع الخلق نواصيهم بيده فلا يتحرك منهم متحرِّك ولا يسكن ساكن إلاَّ بإذنه.

وعلى كلٍّ فهذا دعاءٌ عظيم جامع لأبواب الخير وأصول السعادة في الدنيا والآخرة، فعلى المسلم أن يعتني به في وتره الذي يختم به صلاة الليل، ولا بأس لو زاد على ذلك الدعاءَ لعموم المؤمنين والاستغفارَ لهم ثم ختم بالصلاة والسلام على رسول الله .

**وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَقُولُ فِي وِتْرِهِ : ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ))** رواه الترمذي

وقد دلَّ هذا الحديثُ العظيمُ على أنَّه لا مَفَرَّ إلاَّ إلى الله، ولا مَلجَأَ منه إلاَّ إليه، فأزمَّةُ الأمور كلُّها بيده، ونواصي العباد معقودةٌ بقضائه وقدَره؛ الأمرُ كلُّه له، والحمدُ كلُّه له، والملك كلُّه له، والخيرُ كلُّه في ديه، فمنه تعالى المَنْجَى، وإليه المَلْجَأ، وبه الاستعاذة من شر ما هو كائن بمشيئته وقدرته، فالإعاذة فعله، والمستعاذ منه فعله أو مفعوله الذي خلقه بمشيئته؛ وهذا كلُّه تحقيقٌ للتوحيد والقدر، وأنه لا ربَّ غيره ولا خالق سواه، ولا يملك المخلوقُ لنفسه ولا لغيره ضرًّا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، بل الأمر كلُّه لله، ليس لأحدٍ سواه منه شيء.

وقوله في ختام هذا الدعاء: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» فيه الاعترافُ بأنَّ شأنَ الله سبحانه وعظمتَه وكمالَ أسمائه وصفاته أعظمُ وأجَلُّ من أن يُحصيها أحدٌ من الخلق، أو يبلغ أحد حقيقةَ الثناء عليه غيره سبحانه.

ومن السنة أن يقول بعد السلام من صلاة الوتر: «سبحان الملك القدوس» ثلاث مرات؛ لثبوت ذلك عن النبي ، فعن عبد الرحمن بن أبزى قال: **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** **كَانَ يُوتِرُ بِـ**{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى} **، وَ**{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} **، وَ**{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} **، وَكَانَ يَقُولُ إِذَا سَلَّمَ : ((سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ثَلاَثًا يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالثَّالِثَةِ))** رواه النسائي.

والحكمة من قراءة سورتي الإخلاص في الوتر وكذلك في سنة الفجر: أنهما متضمنتان للتوحيد؛ فأما {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}فهي متضمنة للتوحيد العملي الإرادي وهو إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة ، وأما سورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}فمتضمنة للتوحيد القولي العلمي.

وأسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيما؛ إنه سميعٌ مجيب .

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .